Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تسمية قريبة من روح يحيى حقى الشعبية العريقة ، فنجد أن التحولات التى تؤديها عديدة وبعيدة ، منذ اللحظة التى تتخذ فيها صيغة الشعر المنثور ، أو السطر الشعرى ، وتعدل من تركيبة الجملة اللغوية ، بالتقديم والتأخير ، وضبط الإيقاع لتشبيت هذا الوهم الشعرى ، وتكسر - على مرأى ومسمع من القراء - حاجز المستوى اللغوى الفصيح للسرد، لا للحوار فحسب ، فتقييمه بعامية تطمح إلى درجة عليا من الشعرية ، لكننا نلتفت إلى الحدث ، فاذا به يروى أول تحول للحمار إلى دنيا الناس ، عندما يتم "تفصيل" نظارة طبية له ، بهذه الطريقة الطريفة الممتعة ، وتسلم للمؤلف منطقية الحدث إلى حد كبير ، إلا أنه لا يلبث بعد إثارة الاهتمام الجرىء بالجانب العضوى فى الحمار أن يعكس حركة التحول فى الخاتمة ، فيدفع حسن أبو على - صاحبه - أن يطلب من الراوى أن يساعده على أن يفعل مثل حماره بلبس النظارة ، وإذا كانت الطرافة هى التى تتوالد قصصيا من التحول الأول ، فان تكريس الجانب العضوى الغريزى الفج فى الإنسان ، كما يؤدى إليه التحول الثانى ، يعد تدهورا فى سلم القيم تنتهى إليه القصة ، كما تنتهى إلى نتيجة أخرى بهذا التحليل المضمونى القريب ليس من المعقول أن يقصدها المؤلف وإن كان عمله يفضى إليها ، ويعززه العنوان نفسه ، فطبقا لمنطق ترتيب الأحداث نجد أن الرؤية هى التى تثير الغريزة ، ومع التمجيد المبالغ فيه الذى يصبه المؤلف على فاعلية الخلق الغريزى إلا أن الفكرة التى يخلص بها القارىء هى أن الإبصار أداة الإثارة والتهيج ، وأن قصور النظر ، أو تقصيره بالستر والحجاب مثلا ، يحولان دون ذلك ، وقد يمضى القارىء فى جدله مع نفسه ، بأن يزعم أن المؤلف يتحدث عن مجتمع حيوانى لم يتطهر بالفن ولم يرق بالفكر ، وهنا تكمن خطورة التحول الثانى الذى ينصب من هذا المجتمع نموذجا يسعى الإنسان لتقليده بعد أن يغبطه ويتمنى بالخجل المعهود أن يصبح مثله ، وإن كانت تركيبة القصة ولحظة ختامها تفضى بنا إلى هذا الفهم فان معرفتنا بمواقف المؤلف ومستوى وعيه التاريخى بحركة التطور الإجتماعى والإنسانى تمنعنا من التسليم بهذه النتيجة على أنها الدلالة الأخيرة للقصة ، ولابد أن نبحث عن مخرج من هذا المأزق ، وأعتقد أن طاقة القص والإدهاش عند يوسف إدريس تجعله يمضى فى تكوين المواقف وترتيب الأحداث دون تأمل طويل فى العواقب ، كما أن مهارته فى السخرية تنجح فى تغليف القصة بمذاق حريف قد